



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية العلوم الإسلامية
قسم العقيدة والفكر الإسلامي

خصائص الحوار واساليبه مع غير المسلمين في القرآن الكريم

بحث تقدم به الطالب (عمار محمد حراز)
إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية قسم العقيدة والفكر
الإسلامي وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس
في العلوم الإسلامية

بإشراف
د. أحمد شكر

٢٠١٨م

١٤٣٩هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ
عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ
عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)

صدق الله العظيم

سورة الكافرون

الا ه د ا ء

الى الذي تدركه العقول ... ولا تراه العيون.

رب العزة والجلالة ... طاعة وامتنان.

الى شمعتني عمري اللتين تتبرآن دربي بأحترافهما.

اللذان غمراني بعطفهم وحبهم وحنانهم.

منذ اول لحظات حياتي ... أبي وأمي.

الى سندِي في هذه الدنيا ... اخوتي واخواتي.

الى الذين علموني نسيج الحروف أساتذتي .

الى ينبع العلم والمعرفة ... كلّيتي .

شكر وتقدير

لا بد لنا ونحن خطوا خطواتنا الاخيرة في الحياة الجامعية
وقفة نعود بها الى اعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع
اساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك الجهد
الكبير في بناء جيل الغد لتعيين الامة من جديد وقبل ان نمضي
نقدم ايات الشكر والامتنان والمحبة الى الذين حملوا اقدس
رسالة في الحياة ... الى جميع اساتذتنا الافاضل قال الامام
علي (عليه السلام)

ما الفضل الا لاهل العلم انهم

على الهدى لمن استهدى ولاء.

وقيمة المرء ما قد كان يحسن

والجاهلون لاهل العلم اعداء.

فقم بعلم ولا تطلب به بدلا

فالناس موتى واهل العلم احياء

وأخص بالتقدير (الدكتور احمد شكر)

الى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة الى جميع اساتذتنا
واخص بالتقدير والشكر (الدكتور احمد شكر) الذي نقول له
بشكرك الله قول رسول الله (صل الله عليه وسلم) حيث قال ((ان
الحوت في البحر والطير في السماء ليصلون على معلم الناس
الخير)).

المحتويات:

- ١) الآية القرآنية.
- ٢) الاهداء
- ٣) الشكر والتقدير
- ٤) قائمة المحتويات
- ٥) المقدمة
- ٦) خطة البحث

المبحث الأول: خصائص الحوار في القرآن مع غير المسلمين

اولا: القرآن كتاب هداية.

ثانيا: حوار القرآن اعجاز القرآن.

ثالثا: بقاء حجة القرآن وشمولها.

رابعا: افادة حجة القرآن اليقين الا الظن.

خامسا: التحاكم الى العقل المتصريح.

سادسا: مخاطبة العقل والوجدان جميعا.

المبحث الثاني: أساليب الحوار القرآني مع غير المسلمين

- ١) قياس التمثيل
- ٢) قياس الخلف
- ٣) القول الموجب
- ٤) المناقضة
- ٥) مجاراة الخصم
- ٦) التسليم
- ٧) اظهار تشهي الخصم وتحكمه
- ٨) الانتقال
- ٩) التحدي

الخاتمة

الوصايا

المصادر والمراجع

المبحث الاول : خصائص الحوار في القرآن مع غير المسلمين

للحوار القراني خصائص تجعل منها نسقاً متميزاً عن غيره من الحوارات المنتمية إلى اصناف المدارس الفلسفية والفكرية التي اشتهرت بالحوار والجدل واذكر هنا ابرز هذه الخصائص :-

أولاً : القرآن كتاب هداية

القرآن الكريم كتاب هداية، هداية للناس كافة، وعلى مختلف مستوياتهم العقلية والعاطفية، فما فيه من الحوار والاستدلال المقصود منه . في الدرجة الأولى . هداية الناس وإرشادهم، أو حماية المؤمنين من عدوان المعتدين بدفع شبهاتهم وتنزيدها، وعلى ذلك فهو يختلف عن الطرق البشرية في الحوار التي يقصد منها مجرد الغلبة والفلج، وإظهار الفرج بالانتصار ، وإغاظة الخصم بذلك، فالمحاور من الناس قد تكون له خوايا فاسدة من جبالعلوفي الأرض والإفساد فيها ونحو ذلك. لكنك تجد القرآن يقر في أدب رفيع وإنصاف بلieve للخصم ما معه من الحق؛ كما في قوله تعالى تعقيبا على قول ملكة سبا : ((إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزها أهلها اذلة)) [النمل : ٣٤] كان الغالب على سيرة الملوك الإفساد في الأرض، وتتكيس أوضاع الناس، قال الله تعالى ((وكذلك يفعلون)) [النمل: ٤٣]، وفي حوار القرآن أسلوب التنزيل مع الخصم إلى درجة أنه يساوي بين المحق والمبطل أمام القضية المتاظر فيها، قال تعالى : ((وإنما أو إياكم على هدى أو في ضلال مبين)) [سبا : ٢٤] إلى غير ذلك مما يستكشف كثير من الناس أن يخضعوا له.

حوار القرآن لا يتوجه إلى مجرد الإفحام والإلزام، بل يتوجه في الكثير الغالب إلى إرشادخلق المخاصمين، والأخذ بأيديهم إلى الحق، وتوجيه النظر إلى الحقائق وما في الكون من دلائل الحق والإيمان ^(٣).

ولهذا كان حوار القرآن بالتي هي أحسن، وأمر الله المؤمنين أن يجادلوا بالتي هي أحسن، أحسن لا حسن، وإذا جاء في جدال القرآن الشدة والتعنيف على الخصم، فهذا لا يرجع إلى أسلوب الدعوة القرآنية، وإنما يرجع إلى أمور ذاتية تتعلق بالخصم، بسبب علوه وعناده، ولعل ذلك يفهم من الاستثناء الوارد في المجادلة مع أهل الكتاب ويغلب على اليهود منهم العناد ، قال تعالى ((ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم)) [العنكبوت : ٤٦]

^(٣) انظر : المعجزة الكبرى ، أبو زهرة : ٣٨١

فالاصل في حوار القرآن أنه هداية للضال، وتنبيه للغافل، وتعليم للجاهل، وإرشاد للمسترشد، ثم قطع للمعاند المتلدد؛ لدفع صياله وحسم شره المتعدي إلى الغير، وهذا ما ينبغي أن نستفيد منه في دعوتنا للأخرين.

ثانياً : حوار القرآن معجز إعجاز القرآن

ثبت أن القرآن هو المعجزة الكبرى لنبينا عليه الصلاة والسلام، وكل ما في القرآن معجز؛ إذجازه وإطنابه، وألفاظه، وأساليبه، ونظمها، وكذا استدلاله وجده، وكذا تشريعه وما فيه من العدل والرحمة، وكذا ما يتضمنه القرآن من علوم شتى سبق بها أهل العصر، حتى كان ذلك سبباً في إسلام بعضهم.

والفرق بين القرآن وكلام أعلى أئمة البيان يجعل الموازنة غير مستقيمة، فالفارق بين القرآن وبين غيره، هو كالفرق بين الخالق والمخلوق؛ لأن فرق بين آنكلام الخالق وكلام المخلوق.^(٤)

إذا كان القرآن الكريم معجزاً في بيانه وغيره من ضروب الإعجاز، فإن الحوار ضرب من ضروب البيان أيضاً، ومن ثم فهو معجز إعجاز القرآن، فإن القرآن معجز في كل مواد الحوار والجدل من: بлагаً وفصاحةً وحجةً وأدلةً وبراهينٍ وغير ذلك، يقول أبو بكر الباقياني رحمه الله: "إن المعاني التي تتضمنها . أي القرآن . في أصل وضع الشريعة والأحكام، والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحدين، على تلك الألفاظ البدعة، وموافقة بعضها بعضاً في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويُمْتَنَع".^(٥)

والمقصود من ذلك بيان أن ما يتضمنه الحوار القرآني من الحجج والبراهين لا يمكن مغالبتها فضلاً عن كسرها، لأنها من كلام الله تعالى المعجز، يعلو ولا يعلى عليه؛ إذا سمعته الجن قالوا : ((بيبيث)) [الجن : ١] وإذا سمعه غير المستكبرين من النصارى : ((ترى أعينهم تفليس من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)) [المائدة : ٨٣] ، أما أهل الاستكبار والجحود فيقولون : ((لا تسمعوا لهذا القرآن ولغووا فيه لعلكم تغلبون)) [فصلت :

.٢٦]

^٤ انظر : المعجزة الكبرى : ٣٤٣

^٥ الإعجاز للباقياني : ٤٢

ثالثاً : بقاء حجة القرآن وشمولها :

إن بقاء حجة القرآن ودومها يكمن في صدقها، وقوتها حجيتها، وسعة شمولها، فحجتها باقية ما بقيت السموات والأرض، وعامة لكل الناس على مختلف أزمانهم ومراحلهم في الفهم والإدراك ، وهذا البقاء والشمول مستمدان من بقاء الرسالة وشمولها ، قال تعالى : ((قل يا إلينا الناس إنني رسول الله إليكم جميما)) [الأعراف : ١٥٨] ، وفي الحديث : " ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أواه الله إلى ، فأرجو أن تكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة " .^(٦)

فلا يتصور أن أحداً - أيا كان زمانه أو مكانه - يجرؤ على معارضته حجة القرآن بما يقطعها، أو يشكك في مصادقتها ، على ما يكون من حجج بعض الناس التي قد تكون قاطعة لبعضهم، وفي وقت من الأوقات، ثم لا تثبت أن يعرف بعض الناس بطلانها أو ضعفها، أما حجة القرآن فتبقى قاطعة لكل حجة لا يغير من ذلك زمان ولا مكان ولا إنسان ، فالناس لا يزالون - وفي عصر العلم - يدخلون في دين الله الحق أبداً ، على الرغم من قوة المعتقدات المتمثلة في حرب التشويه والتشكك والإبادة التي تشن ضد الإسلام ، وأكثر الداخلين في الإسلام من عليه القوم؛ من أكاديميين وخبراء وقادة وملوك وفلاسفة ورجال دين ونحوهم، وصدق الله تعالى إذ يقول : ((سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحق أولم يكف بريرك أنه على كل شيء شهيد)) [فصلت : ٥٣]

رابعاً : إفادة حجة القرآن اليقين لا الظن

ومن خصائص الحوار القرآني أن الأدلة القرآنية لها من القطعية في التثبت مثلاً للقرآن الكريم من ذلك، إذ نصوصه قد وردت بطريق التواتر الذي يفيد العلم اليقيني الاضطراري؛ فلا شكولاً ظنفي ثبوت أدلة، كما لا شك ولا ظن في ثبوت نصوصه، هذا من جهة الورود، وكذلك

من جهة المعاني والدلائل، فأدلة الحوار القرآني قطعية؛ لأن المراد بها تقرير القواعد الاعتقادية، وإقامة البراهين على صحتها، والرد على الخصوم إذ هو من أعظم ما جاء القرآن لتقريره، فلا بد أن يكون في وضوح معانيه، وقوة دلالته، ودقة مقاصده ما يجعله هداية للضالين، وقطعاً للمعاذنين، وجة على الخلق أجمعين، فلا تناقض بين أدلته وبراهينه كما قال تعالى : ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)) [النساء : ٨٢] ولا ضعف في قوة حجة القرآن ووضوح محجته كما قال تعالى ((إِنَّهُ لِكِتَابٍ عَزِيزٍ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) [فصلت : ٤١ - ٤٢]

قال أبو عبد الله الرازى . مع خبرته في الفلسفة والكلام . في آخر عمره " : لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ أقرأ في الإثبات : ((الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)) [طه : ٥] وأقرأ في النفي ((لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ)) [الشورى : ١١] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ^(٧) .

خامساً : التحاكم إلى العقل الصريح

العقل هو أغلى ما يفاخر به المخاصم، والقرآن لا يخالف نتائج العقول؛ لأنها . دائماً . إذا كانت صحيحة صريحة . لا تتعارض مع الحقائق الإيمانية، بل القرآن يبحث على إعمال الفكر والنظر والتدبر، واستخدام العقل إلى الغاية الممكنة ، قال تعالى ((قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةِ أَنْ تَقُومُوا لَهُ مُتْنَى وَفِرَادِي ثُمَّ تَنْكِرُوا مَا بِصَاحْبِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدِي عَذَابٍ شَدِيدٍ)) [سباء : ٤٦]

وهناك قوانين عقلية لا يمكن الاختلاف فيها، كوجوب الجمع بين المتماثلات، والتفريق بين المخلفات، وإلحاد الشيء بنegation، وإعطاء الـ فرع حكم الأصل، ونحو ذلك، وليس في القرآن ما يعارض هذا وأمثاله، بل في القرآن ذم لـ الذين يجادلون في الله بغير حجة : لا من كتاب ناطق، ولا من عقل صادق.

واشتمال الحوار القرآني على القوانيين العقلية الصريحة يجعله حجة على كل الناس، لا سيما الذين غابت عليهم الدراسات العقلية والفلسفية، أو الذين لهم مذاهب دينية سابقة يتعصبون لها، ولا ينقلبون عنها إلا بقناعات جديدة، وهذا ما يضمنه الحوار القرآني لهؤلاء جميعاً، إذا تخلوا عن التعصب والعناد.

فمرحباً بكل من يعول على عقله؛ لا على هواه أو على عاداته التي جداد الآباء عن والأجداد :
((إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَبْعَثُ عَنِّي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَنْفَقْنَا عَلَيْهِ إِنَّا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ)) [البقرة : ١٧٠]

وعليه، فليس صحيحاً أن يسمى بعض المخالفين الدين الحق بالعقلانيين، بل لو كانوا عقلانيين حقيقة ما خالفوا الدين الحق، وإنما هي أهواء متغلبة، أو ظنون كاذبة، أو عادات مستحكمة، أو هو العلو والاستكبار كما هي النفسية الفرعونية النمرودية، وإلا فلو تجردوا من ذلك كله وأذعنوا لصوت عقولهم لكانوا في الحق راغبين وبه منادين . ولهذا لا تجد في القرآن ولا في السنة نصاً واحداً يذم العقل، وإنما الذي متوجه إلى الهوى والظن والعناد والاستكبار: ((إن هي إلا اسماء سميت بها أنتم وآباءكم ما انزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس
ولقد جاءهم من ربهم الهدى)) [النجم : ٢٣]

سادساً : مخاطبة العقل والوجدان جميعاً

من خصائص القرآن الكريم أنه يخاطب العقل والوجدان جميعاً، فيأتي بالفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً، وعلى مستوى واحد، مما لا يوجد مثله عند أي إنسان عالماً كان أو حكيناً أو شاعراً، يستطيع أن يمسك الأمر من طرفيه، فيأتي بكلام واحد فيه قوة الحجة العقلية وجمال العبارة البيانية، ولو ولدوا عند فلا يعملان إلا مناوية، كلما قويت واحدة اضمحلت الثانية لحسابها، بل كاد أن ينمحى أثرها، وكلنا يحس من نفسه تناقص قوة الوجدان عند استيلاء قوة التفكير، والضد بالضد . وهذا واضح حينما تستمع إلى أصحاب الدراسات الفلسفية، أو إلى أصحاب الدراسات الأدبية والبيانية.

ما القرآن فالامر فيه مختلف؛ وهناك مثالين من عدد كبير من الأمثلة:

الأول : قوله تعالى : ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسْبَحَنَ اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصْفُونَ)) [الأنبياء : ٢٢] وتأمل وتذير كيف اجتمع في هذه الكلمات المعدودة عمق المقدمات اليقينية، ووضوحاها، ودقة التصوير البيني الرائع لما يعقب التنازع من الفساد المدمّر؛ مما لو أبىغى تقرير مثله فلاسفة العصور كلها لما استطاعوا إليه سبيلا، إلا بعبارة طويلة معقدة وجافة ، كما قال ابن تيمية في نقد المنطق الأرسطي: "... ولكن فيه تطويل كثير متعب فهو مع أنه لا ينفع في العلم، فيه إتعاب الأذهان وتضييع الزمان وكثرة الهذيان^(٨) .

الثاني : قوله تعالى من سورة يوسف : ((وَرَاوَدَنَاهُ التَّيْهَىٰ هُوَ بَيْتَهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثَوِيَ إِنَّهُ لَا يَفْلُحُ الظَّالِمُونَ)) [يوسف : ٢٣] انظر كيف تخرج من خلالها البراهين [=الساطعة والعظات البالغة، وكيف قُوبلت دواعي الغواية الثلاث: الحسب، وتغليق الأبواب، وكونه أجيرا عند امرأة العزيز، بدوابع العفاف الثلاث: الاعتصام بالله، ورعاية الأمانة، وتوقى الظلم. مقابلة صورت من هذا المشهد الممتع حوارا عنينا بين جند الرحمن وجند الشيطان، بين صوت العقل وحرارة الغريرة، ووضعته أمام أصحاب الفطر السوية والعقول المستقيمة على كفتي ميزان، ليتنصر اختيار الصديق، ويخسر اختيار الشيطان.

المبحث الثاني : أساليب الحوار القرآني مع غير المسلمين

لحوار القرآن الكريم أساليب شتى، وطرق متنوعة تناسب أوضاع من [=تصدى القرآن لمحاورتهم، يمكن الإفادة منها في حوارتنا المعاصرة مع غير المسلمين، ومن هذه الأساليب :

١. قياس التمثيل^(١)

وهو أن يقيس المستدلُّ الأمر الذي يدعى على أمر معلوم عند من يخاطبه، أو على أمر بدهي لا تذكره عقول بني آدم، وبين الجهة الجامعة بينهما؛ بين الأمر المدعى وبين الأمر المعلوم.

وأكثر أدلة القرآن الكريم على البعث والحياة بعد الموت تقوم على قياس التمثيل، ومنه قياس الغائب على الشاهد بالمقابلة بينهما، فمن ذلك قوله تعالى : ((وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِي خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يَحْيِي الْعَظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أُولَئِكَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا إِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تَوَقَّدُونَ * أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بِلِي وَهُوَ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ)) [يس : ٧٨ - ٨١] ففي الآيات : المقابلة بين ما لا يمكن إنكاره من المشاهدات والمعلومات وهي : النشأة الأولى، وخروج النار من الشجر الأخضر، وخلق السموات والأرض، وبين إنكار البعث . والخالق لها جميعها واحد، وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، فال قادر على ما ذكر من النشأة الأولى وخروج النار من الشجر الأخضر وخلق السموات والأرض مع عظم خلقها، قادر على النشأة الثانية، بل هي أهون . ولهذا كانت القاعدة العقلية : عدم العلم بالشيء ليس علماً بالعدم، فليس كل ما لا يقع تحت الحواس الخمس يحكم بعدم وجوده، فالله تعالى يقول لمنكري البعث والجزاء يوم القيمة بعد أن كشف عنهم الغطاء وظهر الحق : ((هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْنِبُونَ * أَفَسْحِرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصِرُونَ)) [الطور ١٤]

[١٥]

٢. قياس الخلف

وهو إثبات الأمر بإبطال نقضه، وذلك لأن النقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، كما تقرره براءة العقول؛ لك المقابلة بين الحياة والموت، والوجود والعدم، ونحو ذلك : فدليل الخلف أن

^١ انظر : الانقاذ في علوم القرآن : ٢ / ٣٥٧ ومعنى القرآن : ١ / ٤٦٠ - ٤٦١

يـ[لـ]ـبـطـلـ النـقـيـضـ الـبـاطـلـ لـيـثـبـتـ النـقـيـضـ الـحـقـ، كـالـاستـدـلـالـ عـلـىـ التـوـحـيدـ بـإـبـطـالـ الشـرـكـ، كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ((مـاـ اـتـخـذـ اللهـ مـنـ وـلـدـ وـمـاـ كـانـ مـعـهـ مـنـ إـلـهـ إـذـاـ لـذـهـبـ كـلـ إـلـهـ بـمـاـ خـلـقـ وـلـعـلـاـ بـعـضـهـ عـلـىـ بـعـضـ سـبـحـانـ اللهـ عـمـاـ يـصـفـونـ)) [المـؤـمـنـونـ : ٩١] فـإـذـاـ ثـبـتـ بـالـحـسـ أـنـ الـكـوـنـ فـيـ غـاـيـةـ إـتـقـانـ الصـنـعـةـ ، وـإـحـكـامـ النـظـامـ دـلـ هـذـاـ عـلـىـ أـنـ خـالـقـهـ وـاحـدـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ، لـاـ مـعـاوـنـةـ وـلـاـ مـنـازـعـةـ ، وـهـوـ مـاـ يـسـمـىـ بـدـلـلـ التـمـانـعـ فـيـ الـخـلـقـ وـإـيجـادـ؛ أـيـ إـذـاـ اـمـتـعـ بـالـحـسـ اـخـتـالـ نـظـامـ الـكـوـنـ، وـثـبـتـ بـالـحـسـ دـقـةـ صـنـعـهـ، اـمـتـعـ أـنـ يـكـونـ لـهـ أـكـثـرـ مـنـ خـالـقـ؛ لـأـنـ تـعـدـ الـخـالـقـينـ يـعـنيـ الـمـنـازـعـةـ وـالـمـغـالـبـةـ مـاـ يـوـدـيـ إـلـىـ فـسـادـ النـظـامـ، وـذـهـابـ إـلـيـقـانـ، وـهـوـ أـمـرـ مـشـهـودـ فـيـ التـنـازـعـ بـيـنـ السـلاـطـينـ مـنـ أـهـلـ الدـنـيـاـ.

وـمـنـ أـمـثـلـةـ قـيـاسـ الـخـلـفـ إـثـبـاتـ أـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ مـنـ عـنـدـ اللهـ بـإـبـطـالـ أـنـ يـكـونـ مـنـ عـنـدـ غـيرـهـ، وـذـلـكـ بـأـنـقـاءـ الـاـخـتـلـافـ عـنـهـ؛ كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ((أـفـلـاـ يـتـدـبـرـونـ الـقـرـآنـ وـلـوـ كـانـ مـنـ عـنـدـ غـيرـ اللهـ لـوـجـدـواـ فـيـ اـخـتـلـافـاـ كـبـيرـاـ)) [النـسـاءـ : ٨٢] فـإـذـاـ ثـبـتـ أـنـهـ لـاـ اـخـتـلـافـ فـيـهـ وـلـاـ تـضـارـبـ وـلـاـ تـاقـضـ، بـطـلـ أـنـ يـكـونـ مـنـ عـنـدـ غـيرـ اللهـ تـعـالـىـ، وـلـزـمـ أـنـ يـكـونـ مـنـ عـنـدـ سـبـحـانـهـ وـعـزـشـانـهـ، فـإـنـ الـواـحـدـ مـنـ يـحـزـنـهـ أـنـ يـكـونـ فـيـ كـلـمـهـ تـاقـضـ وـاضـطـرـابـ، فـكـيـفـ يـنـسـبـ ذـلـكـ إـلـىـ اللهـ وـاهـبـ الـكـمالـ؟ـ.

٣. القول الموجب (١٠)

وـهـوـ رـدـ كـلـامـ الـخـصـمـ مـنـ فـحـوىـ كـلـمـهـ .ـ أـيـ بـمـوجـبـ كـلـمـهـ .ـ وـقـيلـ هوـ قـسـمانـ:

أـحـدـهـماـ: أـنـ تـقـعـ صـفـةـ فـيـ كـلـامـ الـخـصـمـ كـنـاـيـةـ عـنـ شـيـءـ يـرـيـدـهـ، فـتـكـوـنـ حـجـةـ عـلـيـهـ، وـعـلـىـ خـلـافـ مـاـ يـرـيـدـهـ فـالـأـعـزـ وـقـعـتـ فـيـ كـلـامـ الـمـنـافـقـينـ كـنـاـيـةـ عـنـ فـرـيقـهـ، وـالـأـذـلـ عـنـ فـرـيقـ الـمـؤـمـنـينـ، فـأـثـبـتـ الـمـنـافـقـونـ لـفـرـيقـهـمـ إـخـرـاجـ الـمـؤـمـنـينـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ، فـرـدـالـهـ ذـلـكـ عـلـيـهـمـ، بـأـنـأـثـبـتـ صـفـةـ الـعـزـةـ لـغـيرـ الـمـنـافـقـينـ، بـلـ اللهـ وـلـرـسـوـلـهـ وـلـلـمـؤـمـنـينـ، فـكـاـنـهـ قـيـلـ لـهـمـ: صـحـيـحـ ذـلـكـ، لـيـخـرـجـنـ الـأـعـزـ مـنـهـاـ الـأـذـلـ، لـكـنـأـنـتـمـ الـأـذـلـ الـمـخـرـجـ، وـالـلـهـ وـرـسـوـلـهـ وـالـمـؤـمـنـينـ هـمـ الـأـعـزـ الـمـخـرـجـ.

وـالـثـانـيـ: حـمـلـ لـفـظـ وـقـعـ فـيـ كـلـامـ الـغـيـرـ عـلـىـ خـلـافـ مـرـادـهـ مـاـ يـحـتـمـلـهـ بـذـكـرـ مـتـعـلـقـهـ، "ـ وـلـمـ أـرـمـنـ أـورـدـ لـهـ مـثـلاـ مـنـ الـقـرـآنــ.

٤. المناقضة

ومثاله قوله تعالى ((الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتيانا بقريان تأكله النار قد جاءكم رسول من قبلي بالبيانات والذي قلتم فلم قتلتموهن إن كنتم صادقين)) [آل عمران : ١٨٣] معناه: أن العلة التي توجب . عندكم . الإيمان بالرسل قد واجدت {فلم قتلتموهن} فدل على أن التعليل بما ذكرت غير صحيح، وهذا النقض وارد على معنى كلامهم، فدل على جواز إيراد ما يهدم كلام الخصم على أي وجه كان^(١).

٥. مجازاة الخصم^(٢)

وذلك بأن تسلم للخصم بعض مقدماته مع الإشارة إلى أنها لا تنتج ما يريد ويعقصده، بل هي تؤدي إلى ما يريد المستدل عليه؛ مثاله : قوله تعالى ((قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلكما تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين * قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده)) [ابراهيم : ١٠ - ١١] فقول الرسول : "إن نحن إلا بشر مثلكم " فيه اعترافهم بالخصوصية البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عن أنفسهم، وليس هذا مرادهم، بل هو من باب مجازة الخصم لبيان خطئه، وذلك بتسلیم دليله، لكن مع منع الدلالة، وذلك ببيان أن البشرية لا تتفاوت الرسالة؛ فكأنهم قالوا : ما ادعیتم من كوننا بشرا حق لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي أن يمن الله علينا بالرسالة، وكون الرسول بشرا هو سنة الله في خلقه حيث يكون ال رسول من جنس منرسل إليهم و كما قال تعالى : ((وما من الناس لأن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا * قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لننزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا)) [الإسراء: ٩٤ - ٩٥]

^{١١} استخراج الجدل : ١١٤

^{١٢} انظر : معرك القرآن : ١ / ٤٦٣ و الانقان : ٢ / ٣٦١ ومناهج الجدل للاصمعي : ٧٧

٦. التسليم^(١٣)

وهو أن يفرض المحال إما منفياً أو مشروطاً بحرف الامتناع ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسلیماً جديلاً، ويبدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه . مثال ذلك قوله تعالى : ((ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبَّحَ اللَّهَ عَمَّا يَصْفُونَ)) [المؤمنون : ٩١] المعنى ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه سبحانه إليها، لزم من ذلك التسلیم ذهاب كل إله بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر ولا ينفذ حكمولاً تتنظم أحواله، لكن الواقع بخلاف ذلك، فوجود إلهين فصاعداً محال، لما يلزم منه المحال.

وهذا النوع قريب من قياس الخلف الم تقدم ذكره، إلا أنه ينفرد عنه بالتسليم الجدلی الوارد في الخيال لا في الواقع.

٧. إظهار تشهي الخصم وتحکمه

وهو أن لا يكون للخصم حجة سوى مجرد التشهي والتحکم، فإن جاءه ما يوافق هواه قبله وإلا رده ودفعه . مثاله قوله تعالى : ((أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوِي أَنفُسَكُمْ اسْتَكْبِرُتُمْ فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ وَفَرِيقًا تَنْقِلُونَ)) [البقرة : ٨٧] وقوله تعالى : ((أَفَقَوْمٌنَّ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ)) [البقرة : ٨٥] إِذَا أَخْذَ بَعْضَ الْكِتَابِ مُوجِبٌ لِأَخْذِ بِجُمِيعِهِ، فَهُوَ كُلُّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا يَكُونُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَقٌّ يَجِبُ الإِيمَانُ بِهِ جَمِيعاً، فَلَا يَجُوزُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ أَجْزَائِهِ فِي الإِيمَانِ وَالإِذْعَانِ عَلَى عَادَةِ الَّذِي جَعَلُوا إِلَيْهِ قُرْآنَ عَضْبِينَ . قال ابن قيم الجوزية رحمة الله : "فهذا هو الذي تسميه النظار والفقهاء : التشهي والتحکم، فيقول أحدهم لصاحبه، لا حجة لك على ما أدعوك سوى التشهي والتحکم الباطل، فإن جاءك ما لا تشتهيه دفعته وردتته، وإن كان القول موافقاً لما تهواه وتشتهيه . إما من تقليد من تعظمها أو موافقة ما تريده

. قبلته وأجزته، فترد ما خالف هواك وتقبل ما وافق هواك، وهذا الاحتجاج ... مفهوم للخصم،

لا جواب له عليه البينة^(١٤)

٨. الانتقال^(١٥)

وهو أن ينتقل المستدل إلى دليل آخر لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الدليل الأول، أو فهمها لكنه قصد المعاندة والمغالطة، فيأتيه المستدل بدليل آخر لا يملك أمامه إلا الإذعان أو الانقطاع . من أمثلة ذلك ما جاء في مناظرة إبراهيم الخليل للذي حاجه في ربه قال تعالى : ((ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذي يحي ويميت قال أنا أحسي وأميته قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب بهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين)) [البقرة : ٢٥٨] قال ابن حنبل : فلا يخلو حال نمرود: إما أن يكون ما فهم حقيقة الإحياء والإماتة، أو فهم إلا أنه قصد المصادمة والمباهلة، وكلاهما يوجب العدول إلى دليل يفضح معارضته ويقطع حجاته، ومتي كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الانتقال إلى دليل آخر أقرب إلى الفهم، وأفلج للحجـة^(١٦).

٩. التحدي^(١٧)

وذلك إظهار لعجز الخصم، ولبيان أن ما يدعوه مجرد مكابرة ولدد، لا يملك عليه حجة ولا برهانا، وظهر ذلك جليا في معارضـة المشركـين للقرآن الكريم، ونسبـتهم إيهـا إلى قوله البشر، كما في قوله تعالى حكاية عنـهم : ((فَقَرْجِج)) [المـثـرـ: ٢٥] الله تعالى . وهم أرباب البلاغـة وملوكـ البيان . أن يأتـوا بـمـثلـهـ، إنـ كانـ القرآنـ . كماـ يـدعـونـ . منـ صـنـعـ البـشـرـ، بلـ جاءـ التنـزـلـ معـهـمـ فيـ التـحـديـ مـبـالـغـةـ فيـ إـظـهـارـ عـجـزـهـمـ، فـتـحـداـهـمـ أنـ يـأـتـواـ بـعـشـرـ سـوـرـ مـثـلـهـ مـفـتـيـاتـ، ثـمـ

^{١٤} _ بدائع الفوائد : ٤ / ١٤٤

^{١٥} _ الاتقان : ٣٦٠/٢ و معتبرك القرآن : ١ / ٤٦٢_٤٦٣

^{١٦} _ استخراج الجدل : ٦٧_٦٨

^{١٧} _ مناهج الجدل : ٨١_٨٣

بسورة واحدة من مثله ، ثم تحدى التقلين جميعا : الجن والانس ، متظاهرين ان يأتوا بمثل القرآن: ((قل لئن اجتمع الانس والجن على ان اتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) الاسراء: ٨٨: فلما عجزوا عن الاتيان بمثله ، لو بمثل بعضه . وهم ارباب البلاغة وملوك البيان . بطلت دعواهم ان القرآن من كلام البشر.

وقد يترقى الامر الى المباهلة ، ولاسيما مع الذين يعرفون الحق كما يعرفون ابناءهم ، مثل ذلك دعوة بعض النصارى الى المباهلة في شأن عيسى عليه الصلاة والسلام : ((فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساؤكم وانفسنا وانفسكم ثم نتباه فنجعل لعنت الله على الكاذبين)) ال عمران : ٦١ فلم يفعلوا خوفا من الافتضاح والتعرض للعنة الماحقة كما ورد في قصتهم في كتب السنن والسير.

الخاتمة :

١. عنابة القرآن الفائقة بالاستدلال العقلي، واستخدام قواعده الفطرية الضرورية والعقل من اكثرا الاشياء توزعا بالتساوي بين الناس مما يجعل القرآن حجة على العالمين خاصة الذين لا يؤمنون بمرجعية القرآن.
٢. الحجة القرانية دائمة دوام الوجود لانها تقوم على حقائق لا يغير فيها الزمان ولا المكان ولا الانسان.
٣. الحوار القراني مقصده الاساس الهدایة لا مجرد الغلبة والفلج وان كان ذلك من نتائجه الطبيعية.
٤. الحجة القرانية تقيد اليقين والعلم الضروري وان كانت بعض ادلة الاحكام التكاليفية ليست كذلك لاختلاف المقاصد.
٥. المخالفون لاحكام الاسلام ليسوا بعقلانيين اذ كانوا كذلك لوافقوه وانما هو اتباع الظن والهوى او العلو والاستكبار.
٦. الحجة القرانية تحمل الى جانب عمق الاستدلال وقوية البرهان جمال العبارة وروعة الاداء وحسن التصوير مما يأخذ بالعقل والوجدان جميعا.
٧. غالب الاستدلال القراني على الامور الغيبية يكون بقياس التمثيل ومن ذلك قياس الغائب على الشاهد فاحد طرف في الحجة امام عيني الخصم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الانقان في علوم القرآن، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المنذوب، دار الفكر ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م لبنان.
٢. الاحكام في أصول الاحكام لابي محمد علي بن حزم الظاهري ، خدمة : احمد شاكر ، مطبعة العاصمة ، القاهرة.
٣. استخراج الجدل من القرآن الكريم ، ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي، تحقيق : د. زاهر بن عواض الالمعي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م بيروت.
٤. عجاز القرآن ، ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق : السيد احمد صقر، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ١٩٧٢م مصر.
٥. اعلام المؤugin عن رب العالمين ، ابو عبدالله محمد بن ابى بكر المعروف بـ قيم الجوزية ، خدمة: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل ،بيروت.
٦. بدائع الفوائد ، ابو عبدالله محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي ،ادارة الطباعة المنيرية ،بيروت.
٧. تفسير القرآن العظيم ، الحافظ عماد ال دين ابو القداء اسماعيل بن كثير ، دار الحديث، الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م القاهرة.
٨. التفسير الكبير ، الامام الفخر الرازي ،دار الحديث العلمية،طبعة الثانية،طهران.
٩. الجامع لاحكام القرآن ، ابو عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبي ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م القاهرة.
١٠. درء تعارض العقل والنقل ، ابو العباس احمد بن تيمية ،تحقيق د.محمد رشاد سالم،طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م الرياض.
١١. الرد على المنطقيين ،ابو العباس احمد بن تيمية ،ادارة ترجمان السنة ،طبعة الثانية ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م لاہور ،پاکستان.